سعي النبي صلى الله عليه وسلم لإصلاح ذات البين

عبدالرحمن بن علي العسكر(*)

سعى صلى الله عليه وسلم في الصلح بين القبائل والعوائل، روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبدالله بن أبي فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»، وفي رواية أن أناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم فحضرت الصلاة ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بلال، فأذن بلال بالصلاة، ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء إلى أبي بكر فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم حبس وقد حضرت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس فقال: نعم إن شئت فأقام الصلاة فتقدم أبو بكر ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الصفوف حتى قام في الصف الأول.

فمن حرصه صلى الله عليه وسلم على الإصلاح تأخر عن الصلاة.

وقد سعى صلى الله عليه وسلم في الإصلاح بين الناس حتى بطريق الموعظة وذكر قصص الماضين فعن عمرة بنت عبدالرحمن قالت سمعت عائشة رضي الله عنها تقول سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فقال أين المتألي على الله لا يفعل المعروف فقال: أنا يا رسول الله وله أي ذلك أحب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد قال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية ، قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على أنفسهما منه وتصدقا).

حتى إذا جاء الصحابة من بعده كانوا أشد الناس اقتداء به صلى الله عليه وسلم في الحرص على الإصلاح وفض النزاعات وأطيلوا النظر في هذه القصة العظيمة التي تبين كيف يكون السعي للإصلاح بين الأقارب عن عوف بن مالك بن الطفيل هو بن الحارث وهو ابن أخي عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأمها أن (عائشة حدثت أن عبدالله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن محرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال لهما أنشدكما بالله لما ادخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبدالرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا ، قالوا كلنا، قالت: نعم ادخلوا كلكم. ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتلق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه ويقولان إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتخريج طفقت تذكرهما نذرها وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها».

(*) المستشار بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - إمام وخطيب جامع عبدالله بن عمر بحي الريان